

محمد بن سلمان.. ولي العهد الذي لا ينبغي أن يصبح ملكا



www.alhramain.com

ترجمة وتحرير شادي خليفة - الخليج الجديد

في خريف عام 1989، لعبت المملكة العربية السعودية دورا حاسما في إنهاء الحرب الأهلية اللبنانية التي كانت قد بدأت عام 1975 وكانت تدمر الجمهورية الهاشمية بالفعل.

وبعد 30 عاما تقريبا، قام حاكم سعودي شاب متهرور وعنيف بسلوك طرق شيطانية لإشعال الم Razzi war في لبنان.

وفي اجتماع مع مسؤولين أمريكيين حاليين وسا باقين في واشنطن خلال زيارته الأخيرة في الربيع، قال ولي العهد الأمير "محمد بن سلمان" إنه مهتم بإنفاق ما يصل إلى 100 مليون دولار لتسلیح "القوات اللبنانية"، وهي مليشيا مسيحية شاركت في الحرب الأهلية، وذلك لتحويل الحزب من خصم سياسي لـ"حزب الله" إلى عدو مميت.

ووفقا لأحد المشاركين في الاجتماع، لم يجد ولي العهد أي اهتمام بهذا المخطط سواء في واشنطن أو في بيروت، وخلافا لاسميه، لا يوجد للقوات اللبنانية جناح مسلح، وقد تخلت قيادته علانية عن استخدام القوة. وفي العام الماضي، سعى "بن سلمان" إلى تجنيد الفلسطينيين المقيمين في مخيمات اللاجئين في لبنان في جهوده ضد "حزب الله"، الذي يمكن القول بأنه أقوى جهة فاعلة غير حكومية في العالم والقوة الأكبر الداعمة لإيران في المنطقة.

وكان هناك استنتاج بأن الرئيس الفلسطيني " محمود عباس" سينضم إلى التحالف الإقليمي غير الرسمي المناهض لإيران، الذي يشمل السعودية وحلفاءها الخليجين ومصر وإسرائيل)، خاصة بعد أن تحركت حركة

"حماس"، المนาفس للدود لـ"عباس" في غزة، لاستعادة علاقتها العسكرية والمالية مع طهران. وفي لقاء تم تنظيمه على عجل مع "عباس" في المملكة العام الماضي، طرح ولي العهد خطته، وتقول تقارير غير مؤكدة أن الزعيم الفلسطيني اعترض، ثم رفض الاقتراح بأدب.

وزعم مقال إسرائيلي أن القيادة السعودية كانت تتطلع إلى تجنيد أكثر من 300 ألف فلسطيني يعيشون في مخيمات اللاجئين في لبنان، وتفق هذه المخططات المتطرفة مع غضب ولي العهد السعودي من رئيس الوزراء اللبناني "سعد الحريري"، بسبب فشله المفترض في اتخاذ موقف قوي ضد إيران و"حزب الله"، الأمر الذي دفعه إلى إجبار "الحريري" على الاستقالة.

وقتل "بن سلمان" المدنيين في اليمن ودفع الملايين منهم للموت البطيء، وحاصر قطر المجاورة، واتخذ إجراءات صارمة ضد الناشطين المسلمين في الداخل، وأمر بقتل "جمال خاشقجي" في الخارج، واستولى على أموال رجال سعوديين آخرين، ويحاول استئناف المراوغة المسلحة في لبنان.

وفي العقد الأخير، صعدت إيران من استخدام الشيعة العرب والمجموعات الشيعية الأخرى في معاركها مع أعدائها العرب على جبهة هلالية الشكل تمتد من البصرة إلى بيروت.

ولقد قاتل شباب من الشيعة اللبنانيين، ينتمون إلى "حزب الله"، بضراوة في شوارع المدن السورية ضد المقاتلين السنة ليخدموا جزئياً المصالح الإيرانية.

وفي بعض الأحيان، عندما كانوا يتداولون النار على مقرية، كانوا أيضاً يلقون السب والشتائم الطائفية ضد بعضهم البعض باللغة العربية العامية.

ولا يمكن لأية دولة عربية أن تصاهي جحافل إيران الشيعية الأجنبية عبر جحافل طائفية خاصة بها، ويدرك "محمد بن سلمان" هذا المأزق، والحدود المحرجة للقوة العسكرية السعودية، ويعكس مخططه الغريب لاستخدام الفلسطينيين واللبنانيين لإضعاف وكلاء إيران لهذا الوعي.

البحث عن وكلاء

وبعد وقت قصير من شن حربه الجوية الكارثية ضد المتمردين الحوثيين في اليمن، وعندما أدرك أن هزيمة أعدائه تتطلب استخدام القوات البرية، ذهب ولي العهد للبحث عن وكلاء لقتال ونزف الدماء نيابة عنه.

وفي خطوة مذلة أظهرت جهله بالتاريخ الحديث لليمن، طلب ولي العهد من الرئيس المصري "عبدالفتاح السيسي" إرسال مجموعة من القوات البرية، طنا منه أن الحزمة المالية الكبيرة التي قدمتها المملكة وحلفاؤها الخليجيون لـ"السيسي"، بعد انقلابه العسكري عام 2013، كافية كرشوة.

لكن بالنسبة إلى "السيسي"، الذي ينتمي إلى جيل من المصريين الذين عانوا لأعوام بسبب حرب اليمن المدمرة والكارثية في ستينيات القرن العشرين، كان ذلك مطلباً غير معقول لا يمكن أن يقبله، لذا فد تحركت العائلة المالكة السعودية باتجاه الشرق لطلب القوات الباكستانية، لكن هذا السعي قوبل بالرفض من قبل المؤسسة العسكرية المهووسة بالهند.

لكن في وقت سابق من هذا العام، أرسلت باكستان بعض مئات من المستشارين والمدربين إلى السعودية، وتم نشرهم على الحدود مع اليمن.

وخلال فترة حكمه القصيرة، قام "بن سلمان" بمجموعة من التحركات الجريئة والدموية على الصعيدين المحلي والإقليمي، والتي مثلت خرقاً للقواعد.

وفي حين تدخل كل ملك سعودي منذ عام 1932 في الشؤون الداخلية لليمن سياسياً وعسكرياً في كثير من الأحيان، فإن "بن سلمان" فقط هو من خاض حرباً لتدمير الاقتصاد والبنية التحتية المضيفة والمفككة أصلاً لأفقر بلد عربي.

وسرعان ما تحولت حربه الجوية إلى تفجيرات وعمليات حصار عشوائية ترقى إلى جرائم حرب محتملة، ما تسبب في أسوأ أزمة إنسانية في العالم اليوم، وقد قدرت منظمة "أنقذوا الأطفال" أن 85 ألف طفل ما توا من سوء التغذية والجوع منذ بدء العمليات عام 2015.

ولا يوجد أي طرف متورط في حرب اليمن لديه أيادٍ نظيفة، فالنظام الإيراني المستعد لقتال السعودية إلى آخر متمرد حوثي لا يشعر بالقلق من الخسائر البشرية المتزايدة التي يساهم فيها.

ويهاجم كل من المتطرفين الحوثيين، وما تبقى من القوات الحكومية التي يدعمها السعوديون، المدنيين الواقعين تحت سيطرتهم بشكل روتيني.

وينتقم الحوثيون من التفجيرات السعودية العشوائية بإطلاق صواريخ سكود التي تمدهم بها إيران دون تمييز إلى الأراضي السعودية.

لكن الجاني المسؤول في المقام الأول عن إدخال البلاد التي كانت تعرف في السابق باسم "اليمن السعيد" إلى حلقة مظلمة ومفرغة من الموت البطيء المؤلم هو المملكة العربية السعودية. ولهذا السبب وحده، يجب مقاطعة "محمد بن سلمان" من قبل ديمocraties العالم.

سياسات قسرية

وتخوض المملكة نزاعات حدودية مع اليمن ومعظم جيرانها الخليجيين الأصغر منذ أعوام عديدة. وفي بعض الأحيان، حاولت استخدام أساليب قسرية قبلية لتسوية هذه النزاعات، وكان أكثرها شهرة نزاع "البريمي" في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين، والذي شمل السعودية وعمان وما يُعرف الآن بالإمارات العربية المتحدة.

لكن منذ تشكيل مجلس التعاون الخليجي عام 1981 لتنسيق السياسات الاقتصادية والسياسية والعسكرية المحتملة، كان من المتوقع حل النزاعات بالطرق الودية بين الدول الأعضاء، السعودية والكويت والإمارات وقطر والبحرين وعمان.

لكن لم يكن التكتل أبداً تحالفاً، وأصبح الآن في حالة يرثى لها بسبب التوترات السياسية والشخصية والأيديولوجية التي تشنه تكتل السعودية والبحرين والإمارات مقابل قطر.

وقد دخلت المنطقة في أعوام من التوترات السياسية والتدخلات المتبادلة والحملات الإعلامية العدائية التي انفجرت في صيف عام 2017، عندما فرض ائتلاف من الدول العربية بقيادة المملكة العربية السعودية إجراءات عقابية غير مسبوقة ضد قطر، بما في ذلك الحصار البري والجوي والبحري، الذي حوصل على شبه الجزيرة الصغيرة إلى جزيرة معزولة.

وقد قدمت المجموعة المعروفة باسم "الرباعية العربية"، وهي السعودية والإمارات ومصر والبحرين، إلى قطر إنذاراً نهائياً بأن الحصار سيظل ساري المفعول إلى أن تمثل قطر لـ13 طلباً معظمها يصل إلى حد الإملاءات.

وطلب تكتل الحصار من قطر قطع علاقتها مع جماعة "الإخوان المسلمين"، بالإضافة إلى غيرها من الجماعات الإسلامية في المنطقة وخارجها، وإيقاف شبكة الجزيرة التلفزيونية، التي استخدمتها قطر كأداة فعالة في سياستها الخارجية، وإغلاق قاعدة عسكرية تركية على أراضيها، وتقليل علاقتها الناشئة مع إيران.

لكن حتى أولئك الذين كانوا ينتقدون دعم قطر لبعض الإسلاميين المسلمين في سوريا على سبيل المثال، ولديهم أسباب وجيهة للشكوى من أن الإمارة تتجاوز وزنها السياسي، حتى أولئك رأوا المطالبذرية لمعاقبة قطر وإطالة الأزمة.

لكن بدلاً من الخوض، قاتلت قطر باستخدام ثروتها لتفويض الأثر الاقتصادي للحصار، وقد ساعد إصرار دول الحصار على مطالبتها في تعزيز حملة قطر للعلاقات العامة.

وأظهرت الأزمة القطرية بوضوح أن القادة الأصغر سناً في الخليج ينظرون إلى السياسة على أنها لعبة خاسرة، وأنهم مستعدون أكثر من آبائهم الأكبر حذراً لحرق الجسور الأخيرة بين دول المنطقة.

وقد حبس "بن سلمان" نفسه داخل حرب لا يمكنه الفوز بها في اليمن، وخسر حملته ضد قطر، ورغم ذلك، يدعى المدافعون عن ولي العهد، بمن فيهم رئيس الولايات المتحدة، أنه شريك موثوق في التحالف الإقليمي العربي الإسرائيلي الصاعد والهادف لتفويض طموحات إيران النووية، وتهذيب سلوكها العدواني الإقليمي. لكن يمكن القول بأن حرب "بن سلمان" في اليمن جعلت الحوثيين أكثر اعتماداً على إيران، وأعطت إيران وحزب الله موطئ قدم عسكري في شبه الجزيرة العربية لم يكن موجوداً قبل الحرب.

وأدى الحصار المفروض على قطر إلى تحسين العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية بين الدوحة وطهران، وزاد من مكانة تركيا العسكرية في الخليج لأول مرة منذ انهيار الإمبراطورية العثمانية قبل قرن من الزمان.

ولقد أدى الإخفاق مع "الحريري" إلى تقليل مكانة السعودية في لبنان، وتشجيع "حزب الله" والشيعة ونفوذه في البلاد.

وكان الثناء على "محمد بن سلمان" كإصلاحي سعودي منظر جديد يتوق إليه الغرب هو الرواية السائدة حتى مقتل "خاشقجي"، وهو الأمر الذي ينبع عن سذاجة الكثير من المحللين الغربيين.

وفي العقود الأخيرة، علق بعض الساسة الأميركيين، والمثقفين، وحتى الباحثين، آمالهم على الإصلاحيين العرب المحتملين، فقط لأنهم كانوا شباباً، وكانت زوجاتهم لا ترتدين الحجاب، وكانوا يتحدثون الإنجليزية ويتطلعون إلى الغربيين، مثل "جمال مبارك" في مصر، و"بشار الأسد" في سوريا.

وكتب الكثيرون عن "محمد بن سلمان" كمصلح أيضاً، لكن معظم التركيز كان على القرار "التاريخي" بالسماح للنساء بقيادة السيارة، وفتح دور السينما، والسماح للرجال والنساء لأول مرة بمشاهدة المسابقات الرياضية معاً.

وقد تمت الإشادة بولي العهد لأنه أراد تنوع "اقتصاد المنتج الواحد" في المملكة، وجعله أقل اعتماداً على إنتاج الهيدروكربونات، من خلال زيادة الاستثمار الأجنبي، وهي قضية طلت النخبة السعودية تناقضها لأعوام.

وفي أحسن الأحوال، تعد هذه التدابير ضرورية لأي دولة للبقاء، ناهيك عن الازدهار، في العالم الحديث، لكن لم يكن هناك قرار جدي واحد بتمكين الشعب سياسياً، أو فتح المجال العام، حتى لو بشكل طفيف. وفي الواقع، كان عهد "بن سلمان" القميص أكثر استبداداً من جميع الحكام السابقين، فلم يقم أي ملك سعودي سبق بتكميل الصالحيات التنفيذية والسياسية والعسكرية والاقتصادية التي ركزها ولي العهد، باستثناء مؤسس السلالة الحاكمة الملك "عبدالعزيز آل سعود".

وقد تميزت فترة ولايته القصيرة بحملات قمع دورية، وقبل وقت طويل من مقتل "خاشقجي"، تم اعتقال عشرات الكتاب والمثقفين ورجال الدين بسبب انتقادهم لبعض قرارات ولي العهد، وما زال الكثيرون منهم يقبعون في السجون دون أي اتهامات رسمية.

وحتى بعض الناشطات اللواتي دفعن بقوة لأعوام من أجل رفع الحظر على قيادة النساء، تم حبسهن بتهم "خيانة" ملقة.

ويُسمح للنساء بقيادة السيارات الآن، لكن ولي العهد يرغب في أن يعتقد أن هذا بسبب شهامته، وليس بسبب كفاحهن، حيث ما زلن خاضعات لنظام الوصاية الذكور والذى يعامل النساء البالغات بعض النظر عن تعليمهن أو عملهن كقاصرات قانونياً.

وتماشياً مع الطغاة في جميع أنحاء العالم الساعين إلى تعزيز سلطتهم السياسية، أعلن "بن سلمان" عن حملة ضد الفساد، كانت أكثر الطرق فعالية للتخلص من أعدائه الحقيقيين والمحتملين أو تخويفهم.

وقد اعتقل بشكل تعسفي المئات من العائلة المالكة والمسؤولين الحكوميين السابقين ورجال الأعمال الآثرياء، وسجنهما في فندق "ريتز كارلتون" في الرياض.

وأفرج عن معظمهم في وقت لاحق بعد أن وقعوا اعترافات وتخلوا عن جزء كبير من مكاسبهم غير المشروعية. وخلال نفس العام، اشتري ولي العهد يختا بقيمة 550 مليون دولار، واحتوى قصراً بقيمة 300 مليون دولار

في فرنسا، وعندما سألته "نورا أودونل" من "سي بي إس"، في برنامج 60 دقيقة، حول هذه المشتريات الغريبة، أجاب الأمير، البالغ من العمر 32 عاما، ببساطة: "إبني أنفق من مالي الخاص، فأنا شخص غني ولست شخصاً فقيراً".

ولم يسبق أن شهدت السعودية هذا الانقلاب الجماعي ضد كبراء العائلة المالكة وغيرهم من ذوي النفوذ والأثرياء، ويقول الواقع إن ضحايا ولي العهد يتربّون تعرّفه الرئيسي التالي قبل أن ينقضوا عليه. وفي روما القديمة، استخدم الأباطرة وأعضاء مجلس الشيوخ والأعيان ممارسة "الخبز والسيرك"، لإرضاء وإلهاء الشعب عن المشاركة السياسية، من خلال توفير الخبز الرخيص والترفيه في شكل معارك "القتال حتى الموت" العديدة في جميع أنحاء الإمبراطورية.

ومن خلال التأكد من أن عامة شعبه يحققون أداء اقتصادياً نسبياً، ومن خلال الترفية عنهم في دور العرض السينمائي وتزويدهم بمواكبة رياضية حديثة، يأمل "محمد بن سلمان" أن تكون النسخة السعودية من "الخبز والسيرك" بمثابة إلهاء لشعبه حتى يتمكن من الاستمرار في تعزيز سلطته، في حين يتظاهر بأنه تحديث مصمم وفق رؤية.

وكان "جمال خاشقجي" الأخير من سلسلة طويلة من الصحفيين العرب والكتاب الذين قتلتهم حكوماتهم في الداخل والخارج.

لكنه كان أول شخص يمتلك وسيطاً دولياً مرموقاً، وهو صحيفة "واشنطن بوست"، التي نشرت أعمدته باللغتين الإنجليزية والعربية، وهو أحد الأسباء التي أثارت غضب ولي العهد.

لقد كان "جمال"، أول صحفي عربي يراقبه ويتابعه ملايين الناس في جميع أنحاء العالم، غير أنه لم يكن يدرك أنه يسير بذلك خطواته الأخيرة نحو موته وحشى.

ولا شيء في عهد "بن سلمان" القصير الصاخب يدل على أنه قادر على التعلم من أخطائه، فقبل أن يبلغ سن 33 عاماً، كان قد قطع بالفعل درب الدم والدموع.

وبذلك يجب على Democracies العالمية، ولا سيما الولايات المتحدة، أن تتجنبه وأن تعامله على أنه منبوذ، فـ"محمد بن سلمان" هو ولي العهد الذي لا ينبغي أن يصبح ملكاً.